

الحلقة السادسة

دعوة النصارى والملحدين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

هارون:

لن ننهي من هذه الحلقات حتى يقوم الداعية عبد الرحيم جرين بتقديم هذا الفيديو عن بعض التفاصيل في دعوة النصارى والملحدين.

أولا بالنسبة للنصارى: فالنصارى يقولون أن يسوع هو الإله لأنه قادر على فعل أي شيء، والبعض الآخر يقول انه ابن الإله، فكيف لنا ان نتعامل مع تلك المفاهيم؟

عبد الرحيم جرين: هذه مسألة مهمة جدا، فمنهج GORAP فعال جدا في دعوة النصارى، لو رجعنا إلى مناقشة مسألة وجود الله، فما أفعله غالبا مع النصارى وهو أنى أطلب منهم التعامل بعقلانية مع مسألة وجود الله، فأسألهم: "أخبروني كيف لهذا الكون أن يكون له خالق؟" فعاجلا او آجلاً، بشكل مختصر أو تفصيلي، سيقدمون نفس البراهين لأن النصارى يؤمنون بوجود خالق واحد، متفرد، سرمدى، صمد، غنى عن الزمان والمكان، وبالرغم من هذا فإنهم يناقضون هذا الاعتقاد بقولهم أن المسيح هو هذا الخالق، أو أن المسيح جزء من هذا الخالق أو جزء من الثالوث.

لذا، فإن المشكلة في هذا، من وجهة نظر النصارى، أن اعتقادهم هذا اعتقاد لا يمكن شرحه بأسباب عقلانية؛ بمعنى آخر؛ أنه غير عقلائي، ليس فقط غير عقلائي ولكنه مستحيل؛ طبقاً لتعريف الاستحالة، لأن ما يؤمنون به هو الشيء وعكسه في نفس الوقت.

لهذا، في البداية، فأنا أقدم مبادئ مُتَّفَق عليها مبادئ "العقل والمنطق السليم" مثلاً: لكل شيء موجود مُسبب، اذا وجدت شيء منظم فهناك من نظمه، هذه مبادئ تقودنا الى حقيقة أن الله موجود ، و من تلك المبادئ ايضا انه لا يمكن ان يكون الشيء وعكسه في نفس الوقت.

لذلك، فأنا أقدم مثال على ذلك، فالدائرة لا يمكن أن تكون مربع ودائرة في نفس الوقت، تستطيع فقط تغيير شكل المربع إلى دائرة والعكس صحيح، ولكنك لا تستطيع ان تجعل الدائرة دائرة ومربع في نفس الوقت.

لذا، هذه هي المشكلة، فهناك خالق متفرد لهذا الكون، لا يمكن أن يكون المسيح، أو بوذا، أو أي بشر آخر، لا يمكن أن يكون أيًا منهم إله، لأنه اصطلاحاً يتم تعريف الإله أنه لا نهاية له، بينما البشر لهم نهاية. أيضاً الإله هو الصمد، بينما البشر محتاجون لآخرين، وما نراه، كصفات في المسيح، ليست صفات إلهية وإنما صفات إنسانية؛ فهو يأكل الطعام ويتنفس الهواء، وُلِدَ طفلاً ثم كبر، اختتن، استخدم الحمار كدابة، كان يجوع، فهذه كلها صفات إنسانية وليست صفات الإله، فسيقولون "هو (المسيح) كان بشراً وإله..."، ولكن لا يمكن أن يكون إله وبشر في نفس الوقت، لأن الصفات الإلهية عكس الصفات الإنسانية، فالصفات الإنسانية على النقيض من الصفات الإلهية.

فالإله هو الخالق بينما الإنسان هو المخلوق، الإله هو الصمد بينما الإنسان يحتاج للآخرين، الإله هو المعبود بينما الإنسان هو من يعبد، الإله لا يتوجه بالدعاء لأحد لكن المسيح توجه بالدعاء.

هذه هي النقطة التي ذكرها الله في القرآن: إذا أراد الله أن يهلك المسيح، مريم، وكل شيء في السماوات والأرض، فليس هناك من يمكنه إيقافه! بمعنى أن المسيح كان عاجزاً أمام قوة الله، لذا فلا يمكن أن يكون هو الله.

ويمكن للنصارى أن يدركوا هذا بسهولة إذا ارادوا، طبقاً "للعقل والمنطق السليم"، فالأمر فعلاً يمثل مشكلة حقيقية من زوايا أخرى لأنهم يخبروننا أن شخص ما سيكون مصيره جهنم، لأنه يرفض الإيمان بشيء من المستحيل حدوثه. كيف نصف الإله أنه عادل وهو يحاسب البشر على رفضهم الإيمان بشيء من المستحيل حدوثه. وأشرح ذلك للمسيحيين كالتالي:

تخيل أنك تقف أمام الإله يوم القيامة، والإله يقول لي:

لماذا لم تؤمن بآني أنا المسيح الإله الحق؟

ما سوف أقوله هو: "كيف لي أن أصدق! فأنت خالق السماوات والأرض."

المسيح هو رجل كان نقطة على كوكب، وهو نقطة في المجرة، وهو نقطة في الكون بأكمله، وهو نقطة... إلخ...

كيف يمكنني أن أعتقد أن هذا مساو لك؟ فأنت خالق كل الأشياء. كيف يمكنني أن أقول ذلك عنك؟!

وإذا ما أوضاعني في النار، فلن أشعر أبداً بأن العدالة قد تحققت، ولن أشعر أبداً أنني أستحق ذلك.

ولكن،

إذا وقف نصراني أمام الله يوم القيامة. والله سألهم:

لماذا عبدتم ذلك الإنسان الذي خلقتة وجعلتموه مساوياً لي؟ ماذا ستقول؟

وإذا ما أوضعك الله في النيران، فسوف تعرف أنك تستحق أن تكون هناك.

حتى الآن لم اقابل أي نصراني استطاع ان يرد علي ذلك .

الآن سيقول أحد النصارى: حسنا، الإله يستطيع أن يفعل أي شيء.

كيف يمكننا التعامل مع هذا الأمر؟ نحن كمسلمين، هناك طريقة معينة يجب بها الحديث عن الله، فلا يجب أن نقول أن الله يستطيع أن يفعل هذا وهذا. هذه ليست الطريقة التي نتحدث بها عن الله، لكن في الواقع سوف نواجه أمراً من أمرين: فإما أن نقول أن الإله يستطيع أن يفعل ذلك ولكنه لن يفعل ذلك أبداً، أو أن الإله لن يستطيع أن يفعل ذلك.

لذا فأنا عادة اعطي مثالا للنصراني فأقول له: هل يمكن للإله أن يفعل شيئاً شريراً؟

وهناك احتمالين متوقعين:

الإحتمال رقم 1:

أن يرد النصراني: لا، الله لا يستطيع أن يفعل أي شيء شرير.

فأسأله: لماذا لا؟

فيجيب: لأن الإله لا يفعل إلا الخير!

فأقول له: لكنك قلت أن الإله يستطيع أن يفعل أي شيء؟!

وهذه هي الكيفية التي يتعارضون بها مع أنفسهم.

الإحتمال رقم 2:

أن يقول النصراني: الإله يمكنه أن يفعل شيئاً شريراً إذا أراد ولكنه لن يفعل أبداً.

فأسأله: لماذا لا؟

فيجيب: لأن هذه ليست طبيعته! الإله يفعل الخير ولا يفعل الشر أبداً.

فأقول له : لكن الأمر نفسه مع كل صفات الله، فكما أن الإله الصالح لا يفعل أشياء شريرة، فإن الإله الباقي لا يصبح بصورة رجل وجوده مؤقت في هذه الحياة!

إن الإله الغني الصمد لا يتحول إلى إنسان محتاج.

نفس الشيء ونفس القاعدة تنطبق علي كل صفات الله و ليس فقط علي كون الإله لا يُقَدَّر إلا الخير. يمكن ان تقول أن الإله لا يفعل الشر لأنه عكس صفاته و لكن أيضا من صفات الإله أنه غني و لا يحده المكان و الزمان و ما إلي ذلك..

هارون: لكن إذا قال أحدهم أن المسيح هو ابن الإله فماذا ستقول له؟

عبد الرحيم جرين: حقيقة هذا يحتاج إلي ذكاء في الرد، فمصطلح ابن الإله له مدلول، لا أريد ان أقول سيئ، ولكنه لا يليق بعظمة الإله الواحد الحق.

سأعطيك مثالا الآن، يجب أن أسأله، ماذا تعني بكلمة ابن الإله؟ هل تعني حرفيا أن المسيح هو ابن الإله وأن الإله هو والده؟ فهو لم يخلقه فقط و انما هو مولود له؟ إذا كنت تقول هذا فأنت تعني أن الإله قد أقام علاقة حميمة! لأن هذا ما يعنيه وجود ابن حرفيا. فهل هذا ما تعنيه؟

معظم النصارى سيقولون لا، لأنه إذا قال أحد منهم نعم، فأنا حقيقة لا أعرف ماذا أقول!

من سيقول لا، قد أدرك أن المسيح ليس ابن الإله حرفيا، فحينها نسأله "هل تعني ان المسيح ابن الإله بالتبني؟"، سنشرح كيف أن هذا الامر غريب:

تخيل أن هناك وعاء معي، وفي داخله سمكة، ثم قلت لك: هذه السمكة هي ابنتي.

ربما تقول: "هل أنت مجنون؟! هذه سمكة، أليس كذلك؟!"

ولكنني أصر على قول بأنها ابنتي، وأن وثائق التبني سوف تأتي خلال الأسبوع القادم، بموجب القوانين الليبرالية الجديدة التي ننعم بها في هذا البلد.

إنها تأكل العشاء معي على الطاولة، ولديها غرفة في هذا المنزل. هذه السمكة هي ابنتي.

ربما تقول: انظر إلي يا صديقي.. هذه سمكة ... وأنت إنسان... لا يمكنك تبني سمكة كإبنة لك.

يمكنك فقط أن تتبنى شيئا ما مثلك ليكون ابنك، يمكنك أن تتبنى إنسان.

هذا غير منطقي، وفي الواقع هذه هي الكيفية التي أهان بها البشر بعضهم البعض. كما تعرف، عندما يقال لك: أنت كلب أو خنزير... لأن ذلك يعادل بك بشيء أقل منك.

فالنقطة هنا، أن هذا أكثر إساءة للإله. مهين أن نقول إن الإله له ابن إنسان. يعني نحن نتقاسم بعض السمات مع الحيوانات، ونحن جميعاً محدودون إلى نهاية، ولكن هذا لا يجعلنا حيوانات. بينما لا يملك الإله أيّاً من هذه السمات، بل إنه في واقع الأمر العكس تماماً. فلكي نساوي بين الخالق وبين القول بأن ابنه إنسان، فهو في الواقع مُسيء للإله وليس له معنى.

يتم استخدام التعبير "ابن الإله" في بعض اللغات السامية وله مدلولات أخرى في بعض اللغات؛ لن نتطرق إليها الآن لأنها تتطلب محادثات طويلة بعض الشيء، فمثلاً في بعض اللغات؛ مثل اللغة العربية، فمعنى اللقب "أبو هريرة" ليس أنه والد طفل يسمى هريرة ولكن هذا يعني أنه يحب تلك الهريرة.

فإذا كان هذا هو المقصود (أن الله يحبه) فهو معني غير خاطئ، لكن مع هذا، لا يمكننا استخدام هذا المصطلح "ابن الله" لكي نعني الشخص الذي يحبه الله لأننا عباد الله ومخلوقاته خاضعين تماماً لإرادة الله.

هارون: ممتاز، ننتقل الآن للحديث عن الملحدين، فهم يثيرون بعض المزاعم المعروفة مثل نظرية التطور، كيف ستتعامل مع شخص يؤمن بنظرية التطور؟

عبد الرحيم جرين: بالنسبة لنظرية التطور، نلاحظ أنها راسخة في أذهان الكثير من الناس ويحتجون بها في كثير من المواقف؛ بينما يرى العلم أنها ليس لها أساس من الصحة، فعندما تسأل أحدهم كيف تواجد العالم سيجيب أحدهم أنه تطور! في الحقيقة ليس هناك أي دليل علمي على هذا.

فنظرية التطور، بالنسبة إليهم، تقول أنه قد حدث تطور مفاجيء للحمض النووي الريبوزي بالإضافة إلى انتقائيات طبيعية، فالحديث هنا عن الحمض النووي الذي حدثت فيه طفرة قد غيرت من التصميم الفسيولوجي للمخلوقات وعبر الإنتقائيات الطبيعية الناجحة ورويدا رويدا قد تغيرت هذه التركيبة... وحدث التطور.

لكنه لا يمكن تطبيق هذه النظرية على الكون، الكواكب والنجوم والمجرات، فتلك المخلوقات لا تحتوي على حمض نووي قد يتطور ويتم اختياره انتقائياً. إن مستوى الهيكلية ومستوى التنظيم في الكون أكبر كثيراً من مستوى علم الأحياء. فعلماء الفيزياء الفلكية وعلماء الفيزياء النووية، على سبيل المثال، هم

الذين وصفوا، على المستوى الذري، أن الكون أشبه بصيغة رياضية هائلة، وأن الرياضيات هي لغة الكون، ونحن نعيش في عالم رياضي.

يصعب عليّ استيعاب أن أحدا ما يمكن أن يصل إلي أي نتيجة غير أن يكون خلف هذا كله منظومة فلكية ذكية. علينا أن نسأل أنفسنا، كيف نحصل على مثل هذا الترتيب الرياضي للكون؟ كيف؟ والتفسير المنطقي هنا يتلخص في ضرورة وجود الحكمة والقوة والذكاء وراء هذا الترتيب. ومن الواضح أنه إذا نظر أي شخص إلى كل هذا، فسوف يصل إلى نفس الإستنتاج.

لا تقدم نظرية التطور تفسيراً لخلق الكون. فالأنواع البيولوجية بسيطة نسبياً، وهذا ما يقوله القرآن، أن خلقك ليس شيئاً مقارنة بخلق السماوات والأرض. وعلى هذا فإن خلق الإنسان والحياة على الأرض عملية بسيطة نسبياً مقارنة بخلق الكون ذاته.

لذا: "عندما نقوم بالدعوة باستخدام منهج GORAP، فمن المفيد أن نتجنب مناقشة نظرية التطور.

فإذا حدثنا أحدهم عن نظرية التطور فيمكننا ان نقول:

أنا لا أتحدث عن الحيوانات والخلق. إن الهاتف المحمول عبارة عن جسم جامد، و ليس كائن حي. إنه مجرد مجموعة من المواد المختلفة التي تم جمعها جميعاً بطريقة ذكية لجعله يعمل كأداة.

لذا، فأنا لا أتحدث عن الأنواع الحية، ولم أذكر هذه الأنواع حتى، بل إنني أتحدث عن الكون، حيث لا تنطبق نظرية التطور بأي شكل من الأشكال! ولكن عندما تقوم بالدعوة فمن المفيد ان تتجنب الحديث عن نظرية التطور... فإن تحدث أحدهم عنها يمكنك أن تقول أنك لا تتحدث عن الكائنات الحية ولكنك تتحدث عن شيء آخر لا تنطبق عليه نظرية التطور. واسأله ما هو تفسيره لكل هذا؟!

هارون: نعم، إذن فنظرية التطور لا تنكر وجود خالق متفرد لهذه المخلوقات، ومن خلال GORAP، يمكن الحديث عن الكون، لسنا في حاجة الى الحديث عن علم الأحياء.

عبد الرحيم جرين: نعم، فالأفضل ان ننحي نظرية التطور جانباً والحديث عن أدلة أخرى أقوى لقبول فكرة وجود الله، نتحدث عن الكون، وعن تغير الليل والنهار، وتركيبه المياه، والغازات المختلفة في الغلاف الجوي، وطبقة الأوزون، والمسافة ما بين الأرض والشمس، حيث لا تنطبق نظرية التطور بأي شكل من الاشكال.

هارون: قد يقول شخص ما شيئاً كهذا، إذاً من الذي خلق هذا الخالق؟!

عبد الرحيم جرين: الكثير من الناس يدور في أذهانهم هذا السؤال، وقد تناولناه من قبل، عندما نتحدث عن وجود الكون، فإننا بالرجوع الى منهج GORAP، اتفقنا على أن الكون يحتاج إلى نوع من الذكاء والقدرة على إنشاؤه وأن طبيعة الخالق تختلف عن طبيعة المخلوق، لأنه إذ لم تكن طبيعته مختلفة، فسيكون لدينا المزيد من الخلق فقط.

الآن ربما يسأل البعض: من خلق هذا الخالق؟

و بهذا سنجد انفسنا امام نفس السؤال مجدد إلى أن نصل إلى الصمد خالق هذا الكون.

كيف نوضح هذا؟

يجب أن نسأله: إذًا، من هو الخالق الذي خلق خالق هذا الكون؟! وهل له نفس الطبيعة؟

إذا قال نعم له نفس الطبيعة، فسنقول له:

إذن من خلق الخالق الذي خلق الخالق الذي خلق هذا الكون؟ وهكذا يستمر السؤال..... إلى ما لا نهاية، وهذا مستحيل الحدوث.

واسمح لي أن أعطيك مثالاً. ولنتخيل معاً أن هناك قنص، وأن هذا القنص له هدف يراه في الأفق، فهو يتحدث باستخدام موجات الراديو ليخبر الجميع من أجل تنبيههم أن "الهدف في الأفق".

تقول له القاعدة أنه يجب عليه أن يطلب الإذن ممن هو أعلى منه قبل أن يضرب الهدف.

و الأعلى في المستوى يطلب ممن هو أعلى منه.

و الأعلى في المستوى الأعلى يطلب ممن هو أعلى منه.

بعبارة أخرى، يستمر تصعيد الطلب من كل مستوى إلى ما هو أعلى منه.

هكذا ترى كيف سيستمر التصعيد وهل تعتقد أن القنص سوف يقوم بسحب الزناد في أي وقت؟

سيقول : لا!

فترد: نعم، سيكون في انتظار القيادة للأبد وإلى الأبد.

لذا، يجب أن يكون هناك مكاناً تتوقف فيه الأوامر، يجب أن يكون هناك شخص يُصدر الأوامر، لأنه إذا

استمر الأمر هكذا إلى الأبد، فلن يتم سحب الزناد أبداً.

والآن إذا ما رجعنا إلى المخلوقات، فإن هذا هو نفس الشيء الذي فعله القناص.

إذا كان لديك خالق قد خلق خالق قد خلق الخالق... وهكذا دواليك، فلن يتم خلق الكون المحدود أبداً، تماماً كما لن يتم سحب الزناد.

ولكن الكون متواجد هنا بالفعل، إنه موجود.

حقيقة وجود الكون مرادفة للقناص الذي يسحب الزناد.

إن الكون المحدود يجب أن يقودنا إلى الاعتقاد بأن السبب الذي قد يتسبب في وجود هذا الكون هو سبب غير محدود ولا بد أن يكون هكذا.

ومرة أخرى، يؤدي هذا إلى نفس الإستنتاج أن طبيعة الخالق لا بد أن تكون مختلفة عن طبيعة المخلوقات، فهو له القدرة والحكمة والذكاء. وبسبب الارتباط الغير محدود لخالق قد خلق مخلوقات قد خلقت مخلوقات،... فهذا الاعتقاد لا وجود له في الواقع. ولا يؤدي هذا إلى خلق أي شيء!

قد يزعم بعض الملحدون أن هناك أكوان لا نهائية، ولكن لا وجود للانهاية في واقع الأمر. قد تكون موجودة في الرياضيات، ولكن في العالم الحقيقي، الأشياء المخلوقة لا يمكن أن تكون باقية أو أبدية بينما يمكن للكيان غير المخلوق أن يكون باقياً وأبدياً.

هارون: نعم هذا منطقي، إنه من دواعي سروري أن أتجاوز معك وأستقي هذه المعلومات وأتمنى أن نطبق هذه المعرفة ومشاهدة الحلقات كاملة، فنحن يجب ان نقوم بالدعوة وليس فقط ان نتعلم كيف نقوم بها.

جزاكم الله خيراً

السلام عليكم ورحمة الله.